جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

التماسك النصي والدلالي
في شعر عبد العزيز المقالح
ديوان: "بلقيس وقصائد لمياه الأحزان" نموذجا
وديوان "أبجدية الروح" للشاعر

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعـــــداد

أمــة الســلام مثنى على المحنش

إشـــراف

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المطلب مصطفى

أستاذ البلاغة والنقد – بكلية الآداب – جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور/ طارق سعد شلبي

أستاذ البلاغة والنقد – بكلية الآداب – جامعة عين شمس

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة دكتوراه

اسم الطالب: أمـــة الســلام مثنى على المحنش

عنوان الرسالة: التماسك النـصي والـدلالي في شـعر عبـد العزيـز المقـالح ديـوان: "بلقيس وقصائد لمياه الأحزان" نموذجا وديوان "أبجدية الروح" للشاعر

درجة الدكتوراه

لجنة الإشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المطلب مصطفى

الأستاذ الدكتور/ طارق سعد شلبي

تاريخ البحث: / / ٢٠

الدراسات العليا — أجيزت الرسالة بتاريخ

خاتم الإجازة — / / ٢٠

بتاريخ / / ٢٠ — موافقة مجلس الجامعة

موافقة مجلس الكلية — / / ٢٠

/ / ٢٠

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾

﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦
وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾

[سورة طه ٢٥: ٢٨]

شكر وتقدير

~~~~~~~~~~~~~~~~~

بكل الحب والوفاء، وبأرق كلمات الشكر والثناء، أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أستاذي العالم الجليل **الدكتور/ محمد عبد المطلب مصطفى** أستاذ البلاغة والنقد بكلية الآداب، ومهما حاولت جاهدة أن أعبر عن شكري وتقديري فلن أوفيه قدره، فهو المعلم والإنسان، قلب نابض، وعطاء دائم متجدد، وقف بجانبي وتحمل تقصيري، شجعني ومنحني الإرادة، وفتح لي آفاقًا من العلم والمعرفة لتعينني في مسيرتي العلمية، فأسأل الله تعالى أن يمده بموفور الصحة والنعيم ويبارك في عمره، ويجعله الخير في اليوم وسائر الأيام.

وأقدم أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل **الدكتور/ طارق سعد شلبي**، رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب، والمشرف المشارك على هذا البحث، فأشكر له نبل أخلاقه، وأرجو المولى عز وجل أن يتمم شفاءه وينعم عليه بفيض من الصحة والخير ما يهنأ به قلبه وتقر به عينه.

وأقدم خالص الشكر وأرقى التقدير إلى أستاذي الفاضل **الدكتور/ أحمد محمد كشك** أستاذ النحو والصرف والعروض، عميد كلية دار العلوم الأسبق، جامعة القاهرة، وقد كان أستاذي في السنة التحضيرية للماجستير، كما شرُفت بأن كان أحد أعضاء لجنة المناقشة في رسالة الماجستير، ويشرفني ويسعدني أن أقف بين يدي عالم جليل بمقامه للمرة الثالثة لتقييم وتقويم هذا البحث، وأن استفيد من علمه ومعرفته، فله وافر الاحترام والتقدير لقبوله مناقشة البحث وتحمل عناء قراءته، وأدعو الله أن يحفظه ويرعاه ويبارك في صحته وعمره.

وأقدم عظيم الامتنان وخالص الاحترام إلى أستاذي الفاضل **الدكتور/ عبد الناصر حسن محمد** أستاذ النقد وعميد كلية الآداب جامعة عين شمس سابقاً، والذي لمست فيه سمة العلماء من رقي الأخلاق والتواضع الجم، وأشكر تشريفه هذا البحث وتفضله بقراءته ومناقشته وتقييمه، سائلة الله الكريم أن يفيض عليه من واسع عطائه وخير نعمته، ويمده بالصحة والعمر الوفير.
~~~~~~~~~~~~~~~~~

المقدمـــــة

إن لغة النص text linguistics عند قدامى العرب لم تحظ بدراسة مستقلة، فقد كانت مقسمة بين النقد والبلاغة والنحو، وكان تناولها على مستوى الجملة، باستثناء عبد القاهر الجرجاني الذي قال صراحة: إنك لا تحكم لصاحب النص بالسبق إلا بعد أن تستوفي القطعة كاملة، ثم قدم تطبيقًا عمليًا في تحليل سورة الفاتحة، وهي نص كامل(١).

وقد جاء علم النص الحديث فقدم منهجًا جديدًا في معالجة النص. وأهم الموضوعات التي يدرسها علم النص (التماسك النصي) الذي ينطلق في تحليل النص من الجملة، ولكن ليس لكونها جزءًا مستقلاً، وإنما هي جزء داخل كل منسجم متجانس، وجانب مكمل من جوانب الواقع اللغوي، إذ تحمل دلالاتها وفق دلالات الجمل الأخرى في النص.

ولا يتوقف علم النص عند دراسة الكلمات وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي النحوي والصرفي والصوتي والدلالي، بل يهتم بأن ينفذ إلى ما وراء النص من جميع العوامل المعرفية والنفسية والاجتماعية، حيث يلتحم بجوانب غير لغوية، تفسر كثيرًا من الغموض في العمليات اللغوية، مع بقاء الجانب اللغوي عمود النص.

ولا يتحدد التماسك النصي فحسب على مستوى علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل، لأن هذا المستوى لا يقدم سوى الأبنية الصغرى، ومن ثم وضع بعض علماء النص عدة تصورات تتعلق بما سُمي بالأبنية الكبرى وقواعدها، والتي من خلالها يتم تحديد النص بوصفه عملاً فريدًا.

وبهذا يتبين أن التماسك النصي هو عبارة عن وجود علاقات شكلية ظاهرية، وعلاقات معنوية ملحوظة تعمل على ربط أجزاء النص وجمله بعضها ببعض، فيصير النص كلاً كاملاً.

والتماسك النصي يمثل أهم معيارين من معايير النصية، وهما السبك Cohesion، والحبك Coherence ، وهذان المعياران يكشفان عن كيفية تركيب النص بكونه صرحًا دلاليًا، ويبرزان العلاقة التي تربط بين عناصره، ودورها في تشكيل نصيته،

(١) يراجع: دلائل الإعجاز، الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص٨٨، ٤٥٢.

ودور النظام النحوي في تحقيق هذا الترابط والتماسك؛ (فالسبك) مختص بالعلاقات النحوية، والأدوات الشكلية الظاهرة على سطح النص، و(الحبك) مختص بالعلاقات المعنوية الملحوظة التي تدرك بالفعل؛ أى إن السبك يمثل المستوى الصوتي والمستوى التركيبي، والمستوى المعجمي من مستويات اللغة، والحبك يمثل المستوى الدلالي من مستويات اللغة.

والسبك صناعة خاصة بمنتج النص، أما الحبك فهو صناعة مشتركة بين منتج النص ومتلقيه؛ وهذا ما يفسر اختلاف مجموعة من المتلقين في قراءة نص ما مع إجماعهم على تماسكه، بل إن القراءة قد تختلف من خلال القارئ الواحد، إذ إنه في كل قراءة للنص قد يجد معنى غاب عنه في قراءة سابقة.

وينبغي الإشارة إلى سبق عبد القاهر الجرجاني في تعامله مع النص كصناعة وإن كان بشكل غير مباشر، حيث تعامل معه بمدلوله، (فنظرية النظم) تعتمد على حركة الصياغة والناتج الدلالي، يقول: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"(١)، ويقول: "اللفظ تبع للمعنى، والكلم ترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت معانيها حتى تتجرد أصواتًا وأصداء حروف، لما وقع في ضمير وهجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم"(٢).

ولغة النص لغة متفاعلة بين المنتج والقارئ، وكما تتباين كفاءة الطاقة التعبيرية للنصوص تتباين كفاءة القارئ، حيث يصنع لنفسه علاقات دلالية بين أجزاء النص تعينه على فهمه، ومن هنا يتولد الاختلاف، وهو ما يقود إلى مفهوم النص المغلق والنص المفتوح.

ويرى الجرجاني أن البناء المحكم للنص يقتضي انفتاحه، ذلك أنه لن يكون هناك انفتاح إلا إذا كان هناك بناء محكم، يبنى فيه ثان على أول، ويرد تال على سابق، بحيث تكون حركة التلقي مترددة بين هذا وذاك، مع بذل الشقة، وقطع المشقة، والغوص، ولن ينال المطلوب إلا بعد الامتناع والاعتياص(٣).

---

(١) السابق، ص٥٥.

(٢) السابق، ص٥٦.

(٣) أسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، بدون تاريخ، ص١٤٤، ١٤٥. وينظر: القراءة الثقافية، د. محمد عبد المطلب، القاهرة، إصدارات المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٣م، ص١٥٠.

ويعد الجرجاني انفتاح النص على (الاحتمال) خصيصة مركزية؛ "لأنه إذا كان بينًا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه، حتى لا يشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه، وأنه الصواب إلى فكر ورؤية، فلا مزية، وإنما تكون المزية، ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهًا آخر"(١).

فخاصية (الاحتمال) تصرف عن النص انغلاقه على نفسه، وتحفظ له كينونته وإنتاجيته المستمرة، في سياقه التاريخي والاجتماعي والثقافي، ضمن البنية النصية الكبرى التي يتفاعل معها.

والوصف اللغوي هو المدخل إلى كوامن النص، ويعين على معرفة مدى تحقق تماسكه، إذ يتجاوز حدود الجملة إلى ما وراء اللغة، ويتجاوز الثوابت في البنية السطحية ليعيد إنتاجها في البنية العميقة.

والإجراء التطبيقي لمفهوم التماسك النصي في النص الأدبي العربي فيه كثير من التوافقات مع الدراسات النصية الحديثة الوافدة، فالبلاغة العربية القديمة ضمت الأفكار الأساسية التي قدمتها الدراسات الحديثة، وإن ضمت قدرًا غير قليل من المغايرة، ولعل هذه الدراسة تقدم نوعًا من هذه المغايرة، وهو ما أحسبه جديدًا فيما قُدِّم من الدراسات النصية، وهذا الأمر أهم الأسباب التي جعلتني أختار موضوع الدراسة، حيث يُعَدُّ ديوانا عبد العزيز المقالح (بلقيس وقصائد لمياه الأحزان، وأبجدية الروح) نموذجين يقدمان ملامح الحداثة اللغوية، والمظاهر التعبيرية التي تمتلك كثافة في بنيتها، ويقدمان الرؤية الإبداعية بقيم لغوية وأسلوبية تحقق تكوين النص وتوليد دلالاته المتعددة.

وأود أن أشير إلى سبب اقتصار الفصل الأول على نصوص من ديوان (بلقيس وقصائد لمياه الأحزان)؛ ذلك أنه بعد انتهائي من هذا الفصل، تم تعديل خطة الدراسة وإضافة ديوان (أبجدية الروح)، لكشف مزيد من المعاني اللغوية، والقدرة الفنية عند عبد العزيز المقالح.

لقد أفدت من الدراسات النظرية، مثل كتاب: الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل. وبلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل. وتحليل الخطاب لبروان، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطني ود.منير التركي. ولسانيات النص، د. محمد

(١) دلائل الإعجاز، ص٢٨٦. وينظر: القراءة الثقافية، ص١٥٠.

مفتاح. ومدخل إلى علم لغة النص لروبرت ديبوغراند ولفغانغ دريسلر، ترجمة: د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد. والنص والخطاب والإجراء، لروبرت ديبوغراند، ترجمة: د. تمام حسان. والنص والسياق لفان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني. ونظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل.

أما الدراسات التطبيقية فقد أفدت منها بشكل مباشر، وكان أهمها ما قدمه الدكتور محمد عبد المطلب فيما يمس موضوع دراستي، ومنها كتابه الرائد "بناء الأسلوب في شعر الحداثة"، وقد أفدت منه عظيم الإفادة في تفسير شعرية المقالح. وكتابه "كتاب الشعر"، وقد حوى فصلاً كاملاً لقراءة في شعر المقالح، وأيضًا كتابه "قراءة ثانية في شعر امرئ القيس" الذي رسم فيه خطوطًا دلالية تكشف عن الطاقة اللغوية الكامنة في النص الأدبي، وهو ما أعانني أثناء تناول النصوص الشعرية للشاعر.

وأفدت من دراسة الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف لقصيدتي أمل دنقل بعنوان "صلاة"، و"سفر الخروج: أغنية الكعكة الحجرية" في كتابه "الجملة في الشعر العربي"، فقد تتبع تفاصيلهما وأفاض في تحليلهما، بغية تحديد بعض خطوط المنهجية في تفسير النص الشعري. كما كان لكتابه "اللغة وبناء الشعر"، أهمية في الدراسة، حيث استفاض في الحديث عن نظام لغة الشعر، وكشف جوانب متعددة لهذا النظام في إطار نظام اللغة العام، ومدى فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر، فشكل إضاءات تفسر تركيب البناء اللغوي الفني، وتساعد القارئ على تذوقه، وكشف مواطن الجمال فيه.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل، وقسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

تناولت في التمهيد نبذة عن الشاعر عبد العزيز المقالح، حياته ومكانته العلمية والأدبية، والجوائز والأوسمة التي حصل عليها، والمناصب التي تولاها.

وعقدت الفصل الأول للحديث عن (التماسك الصوتي)، وجعلته في مبحثين: المبحث الأول: تناول المفارقة ودورها في بناء النص وتماسكه من خلال نقطتين رئيسيتين، الأولى: التماسك من خلال المفارقة بالتقابل. والثانية: التماسك من خلال المفارقة بالتماثل. أما المبحث الثاني: فقد تناول الإيقاع ودوره في بناء النص وتماسكه من خلال نقطتين رئيسيتين: الأولى: التماسك من خلال القافية. والثانية: التماسك من خلال الترصيع.

وخصصت الفصل الثاني لدراسة (التماسك التركيبي)، وعرضته في مبحثين: المبحث الأول: علاقات المعاني النحوية في الجملة العربية ودورها في بناء النص وتماسكه. أما المبحث الثاني: فقد تناول علاقات الربط في الجملة العربية ودورها في بناء النص وتماسكه من خلال نقطتين رئيسيتين: الأولى: الربط بالضمير وما يجري مجراه. والثانية: الربط بالأداة.

وانفرد الفصل الثالث بدراسة (التماسك المعجمي)، ووزعته على مبحثين: المبحث الأول: التماسك من خلال التكرار. والمبحث الثاني: التماسك من خلال المعجم الشعري.

وختامًا فهذا جهدي المتواضع أضعه أمام سيادتكم، سائلة المولى عز وجل التوفيق، وأن يهدينا إلى الصواب.

التمهيد

عبد العزيز المقالح (١٩٣٧م) ولد في قرية المقالح في محافظة إب في اليمن، وهو أحد رموز الحركة الشعرية والنقدية في الأدب العربي الحديث، ومن أكثر الذين قدموا تجربة شعرية كان لها دور الريادة في الإبداع العربي.

درس على يد مجموعة من العلماء والأدباء في مدينة صنعاء، تخرج في دار المعلمين في صنعاء عام ١٩٦٠م، وواصل تحصيله العلمي حتى حصل على الشهادة الجامعية عام ١٩٧٠م، وحصل على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ١٩٧٣م، ثم حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٧م، وترقى إلى الأستاذية عام ١٩٨٧م.

طُبعت أعماله الأدبية بطابع الكلاسيكية ثم انفتحت على الحداثة، فخرجت شعريته من الأساليب الكلاسيكية للقصيدة القديمة خروجًا غير مفتعل، محافظة على الوزن الموسيقي القديم، والإيقاع الداخلي الحديث.

لقد مرت الحداثة عبره إلى أرض الوطن لتشارك في مسار التطور الإبداعي، والدعوة إلى عدم التقيد بأسر الماضي، والإغراق في النمطية التقليدية، ولم تكن مشاركته مقصورة على الحداثة الشعرية، بل شملت مختلف المجالات، وقد دعا إلى الحداثة كلٌ حسب تخصصه؛ لإرساء دعائم قوية للتطور النهضوي، ومواكبة الزمن، الأمر الذي أدى إلى اتهامه بالعلمانية والتغريب، والتشكيك في دينه ووطنيته.

وإضافة إلى معاركه الفكرية، خاض معارك أدبية مع خصومه من المحافظين الإسلاميين، أدى ببعضهم إلى تكفيره، وهذا يعود إلى عدم إدراك العمل الأدبي ما أدى إلى اللغط وسوء الفهم ومحاكمة العمل الأدبي محاكمة غير أدبية.

ورؤيته للحداثة في القصيدة الجديدة، كما يقول في كتابه: "ليست في التعبير الخارجي للشكل والتلاعب بتفاعيل البيت الواحد، وإنما هى في حداثة الرؤى، وبتوضيح أكثر في استلهام أخلاقيات وجماليات العصر الذي يحيا فيه الشاعر، ويستعير من حركته الصاعدة النبض والتجدد"(١).

(١) شعراء من اليمن، د. عبد العزيز المقالح، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣م، ص٦٩.